بابُ الفون

النسر[1]:

طائر من أعظم سباع الطير وأكبرها جُثَّة، بين لون العُقاب وسواده وغُبرة الرَّمَّج[2]، سمِّي به لأنه ينسرُ الشيء فيبتلعه، وهو عَرِيف[3] الطير، يقول في صياحه: ابن آدم، عشْ ما شئت فإن الموت لاقيك. وفيه مناسبة لما خُصَّ به من طول العمر، ويقال له: أبو الطير[4].

قال الشاعر[5]:

فلا وأبي الطير المُرِبَّة في الضحى على خالف[6] فقد[7] وقعت على لحم

---

(١) الحيوان ٢/ ٣٣، ٤/ ٣٥٨، ٦/ ٤٠٢، ٤٠٦، ومواضع أخرى متفرقة، وحياة الحيوان الكبرى ٢/ ٣٥٠، وبلوغ المراد: الورقة ١٤٨/ أ، واللسان (ن س ر).

(٢) الرَّمج من طيور الماء من الفصيلة النورسية، له منقار طويل مقوس، ذو لون أخضر إلى الصفرة. المعجم الوسيط (ر م ج).

(٣) العريف: القائم بأمر القوم وسيدهم.

(٤) بلوغ المراد: الورقة ١٤٨/ أ.

(٥) البيت ينسب لأبي خراش أو ابنه خراش؛ أو أبي ذؤيب الهذلي. ديوان الهذليين ٢/ ٣٢١، ويروى أيضا:

لعمر أبي الطير المربة غدوة على خالد لقد عكفن على لحم

وانظر أيضًا الخزانة ٢/ ٧٥، ٧٦.

(٦) في ديوان الهذليين والخزانة: "خالد".

(٧) في ديوان الهذليين والخزانة: "لقد".

وأبو ميسر، وهو سيد الطير؛ لما روى عن عليٍّ مرفوعا: "هبط عليَّ جبريل، فقال: يا محمدُ، إن لكل شيء سيدا، وسيد فارسَ سَلْمان، وسيد الحَبَشِ بلالٌ، وسيد الشجر السِّدْرُ، وسيد الطير النَّسْرُ، وسيد الشهور رمضان، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام العربيَّة، وسيِّد العربية القرآن، وسيد القرآن سورة البقرة".

وليس بذي مخلب، بل له أظفار حِدَادٌ، وهو يسفد كالديك، وقيل: إن الأنثى تبيض من نظر الذكر، ولا تحضن، بل تبيض في مَحَلٍّ عالٍ ضَاحٍ[1] للشمس، فيقوم حَرُّ الشمس مَقام الحَضْنِ.

وهو حادُّ البصر، يرى الجيفة من أربعمائة فرسخ، والشَّمُّ، ولكنه إذا شمَّ طِيبا مات فوراً، وهو أشد الطير طيرانا وأقواها جناحاً، حتى إنه يطير ما بين المشرق والمغرب في يوم واحد، فإذا وقع على جيفة وعلى عُقْبان، تأخرت فلا تأكل ما دام يأكل؛ هيبة له، وهو شَرِهٌ نَهِمٌ، إذا وقع على جيفة امتلأ منها حتى لا يمكنه الطيران، فيصاد حينئذ. وهو أشد الطير حزناً على فراق إلْفه، وربما مات حزنا. ومن أطول الطيور عمراً يقال: يُعَمَّر ألْفَ سنة[2].

---

(١) ضاح للشمس يعني: بارز لها.
(٢) بلوغ المراد: الورقة ١٤٨/ب.

ومن غريب ما أُلْهِم أنه إذا حملت أنثاه ذهب إلى الهند وأخذ منه حجرا كالجوزة إذا حرك سمع منه صوت حِسٍّ كصوت الجرس، تجعله تحتها فيذهب عنها العُسْرُ.

ومما قيل فيه من التشبيه قول الحلّى: (من الكامل).

ولقد ذكرتك والحمائم وُقَّعٌ تحت السنابك والأكُفُّ تطير
والهامُ فى أفق العجاجة حُوَّم فكأنها فوق النُّسور نُسور

وقال السراج الوراق مُلْغزاً فيه: (من السريع).

وما اسم شىء كله طائر والثلث منه سابح فى البحار
وقلبه فى راحة مالك كما لقلبى ملق والدكار
وفيه مرٌّ إن تأملته بان بعينيك نهارا جهارا

وألْغَزَ الصَّلاَح الصَّفَدىُّ فيه: (من الوافر).

أتعرف طائرا فى الأرض يلقى وفى جوِّ السماء مع الدرارى
به عجب لأن الرأس حوت وآخره برى ذنب الحمار

وقال ابن عبد الظاهر: (من مجزوء الرجز).

ما اسمٌ إذا عكسته به المطىّ يقطر
وطائر تصحيفه يقول هذا بشر
إذا حذفت ثلثه سرٌّ ومنه الضُّرُّ

كعمر نوح عمره ألف سنين تُخْصَرُ
فاعجب له معمَّرٌ ما عنه يروى خبره
كبير عمر إنما له سَمِيٌّ أكْبَرُ
وآخر كمثله مع المدى معمَّرُ
ملك كبير بينما يغنى يرى يفتقرُ
ليس البغاء للورى ولا به يُستَنْصَرُ
وكم له من خِلَعٍ بهذا الهام تفتخر
كم أصبحت ذيولها من لبسه يخرّر

وقال الشريف الموسوي: (من السريع).

أُشَبِّه النَّسْرَ إذا ما علا وقاوم السُّحْبَ وأجبالها
بخيمة في الجوّ أو غابة طيَّرت الأرواح سربالها
وإن تدلّى من سماواته تخال في الأرض إذا نابها

وقال الخبازّ: (من المتقارب).

وقالوا امتدحْ رؤساء الزمان فقلت امتداحي عنه أجلّ
مدحت النُّسور ملوك الطيور فأرضي امتداحي فراخ الحجل

وقال السلامي الشاعر: (من الكامل).

والنقع ثوب والنسور مِنقط والأرض فرش والجياد محجّل

وسطور خيلك إنما ألفاتها سمر تنقط بالدما وتشكل

وحكمه[1]: الحرمة عند الشافعي وأحمد وأبي حنيفة. وقال مالك: يَحِلُّ.

وفي المثل: أعمر من نَسْر[2]. وقالوا: أتى الأبد على لُبَدَ[3]. لأنه آخِرُ نسور لُقْمانَ؛ لأنه لما اختار أن يعيش عُمْرَ سبعةِ أنْسُرٍ، كلما هلك نسر خَلَفه آخرها، فكان يأخذ الفرخ حين خروجه فيربيه ثمانين سنة ثم يهلك، فاتخذ السابع وسماه لُبَدَ، فلما عجز عن الطيران، قال لقمان: انهض لُبد. فلما هلك مات لقمان.

وقد ذكرته العرب في أشعارها؛ قال النابغة[4]: (من البسيط).

أمست خلاءً وأمسى أهلها أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

وخواصه: يجعل قلبه في جلد ذئب ويعلق على إنسان، يصير مَحْبوبا مُهابا مقضي الحاجة، ولا يضره سَبُعٌ[5]. وإن وضع تحت امرأة معسرة ريثة منه، أسرعت الولادة. ولحمه شديد الحر واليُبْس، ويبسه أكثر.

---

(١) المغني لابن قدامة ١٣/ ٣٢٣. (ط. هجر).

(٢) جمهرة الأمثال ٢/ ٧٥، والمستقصى ١/ ٢٥٤.

(٣) الأمثال للقاسم بن سلام ص ٣٣٦، وجمهرة الأمثال للعسكري ١/ ١٢٦، ومجمع الأمثال ١/ ٤٢٩، والمستقصى ١/ ٣٦.

(٤) ديوان النابغة الذبياني ص ٥ ـ ويروى أيضا: "أضحت خلاء" ـ وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١/ ٣٨٢، وشرح المفضليات ص ٥٦٤، والخزانة ٢/ ٧٦.

(٥) بلوغ المراد: الورقة: ١٤٩/ أ.

وأكله نافع من التشنج، ولحمه زفر زهم[1]، وكيموسه ردئ ولا يقاربه فى الغلط، ورداءة الكيموس إلا الكُزكى الكبير العتيق. وإن اكتحل بمرارته أسبوعا مع ماء بارد وطلى منها حول العين نفع من نزول الماء فيها، وإن خلطت بمثل عصارة بندق هندى نفع ظلمة البصر وأذهب غلظ الجفن، وإن أذيب شحمه وقطر فى الأذن حارًا نفع من الصمم، سيَّما إذا كان مكرراً.

النسناس[2]:

حيوان كالإنسان له عين واحدة يخرج من الماء ويتكلم، متى ما ظفر بآدمى قتله. وقال القزوينى[3]: إنه أمة من الأمم لكل منها نصف بدن ورأس ورجل، كأنه سِقْط[4] إنسان، يقفز على رِجْلٍ واحدة ويعدو عَدْواً كثيرًا منكرا.

ويوجد بجزائر الصين ويصادون ويؤكلون، وهم يتكلمون بالعربية ويتناسلون ويسمون بالأسماء العربية، ويقولون الشعر، ومن ذلك قول بعضهم[5]: (من الرجز).

فررت من خوف السراة شدا

---

(١) الزهم: الدسم والشحم.

(٢) الحيوان ١/ ١٨٩، ٦/ ١٩٣، ٧/ ١٧٨، وحياة الحيوان الكبرى ٢/ ٣٥٢، وبلوغ المراد: الورقة ١٤٩/ أ، واللسان (ن س س).

(٣) معجم الحيوان للمعلوف، ص ١٦.

(٤) السقط: الجنين ينزل من بطن أمه قبل تمامه. اللسان (س ق ط).

(٥) الرجز عند الدميرى ٢/ ٣٥٦.

إذا لم أجـد فـى الفـرار بُـدًّا
قد كنت قِدْماً فى الزمان جِلْدَا
فهـا أنـا الـيوم ضـعيف جـدًّا

وقيل: إنهم من ولد آدم دعا عليهم فمُسِخوا نـاسيس، لكل واحد منهم رِجْل ويد من شقّ واحد، يقفزون كالطير ويرعون كالبهائم.

قال الشاعر[1]: (من الخفيف).

ذهـب الـناس فاستقلوا وصـاروا خلقـا فى أراذل النـاس
فى أنـاس تعـدهم مـن عديـد فـإذا فتشوا فلـيس بـناس
كلـما جـئت أبتغـى النَّـيْل مـنهمْ بادرونـى قـبل الـسوء بـيأس
وبكَـوْا لى حتـى تمنـيت أنـى مـنهم قـد أفلـت رأسـا برأسـى

وحكمه: الحرمة[2]. وأما هذا الحيوان الذى تسميه العامة النسناس، فنوع من القِردة لا يعيش فى الماء، فأفتى الجميع بحرمته.

---

(١) نسبه للدميرى لأبى نعيم صاحب "الحلية". انظر حياة الحيوان الكبرى ٢/ ٣٥٧.
(٢) بحرم قياسا على تحريم القردة. انظر المغنى ١٣/ ٣٢٠.